المدرسة الظاهرية

(دار الكتب الوطنية الظاهرية)

— ٢ —

الظاهرية دار كتب

ينطوي القرن الثالث عشر للهجرة إلا قليلا ، ويضم التاريخ ذكرى زمرة متميّزة من فقهاء ومحدثين ومفسرين ونحويين ولغويين ، ومؤرخين ، وأدباء تصدوا للتدريس في الظاهرية خلال ستة قرون ونيف ، وخبَت تلك الشعلة الثقافية التي حملتها أيديهم المؤمنة بالله والعلم ، أو كادت تلفظ الأنفاس في أواخر العهد العثماني كما ذكرنا .

ويطل عام ١٢٩٤ هـ وتشهد الظاهرية أطفالاً صغاراً يدخلون أبهاءها ، أو يخرجون منها ، حالمين محل المريدين ، ويرتفع ضجيج لعبهم في باحتها التي طالما سمعت صوت شيوخ أجلاء وطلاب علماء يتناقشون في شتى ميادين العلم . . وتُعلّق على بابها رقعة حملت اسم « مدرسة الملك الظاهر » [١] . وهكذا انقلبت الظاهرية إلى مدرسة ابتدائية رسمية تخضع لنظام التعليم المستحدث في البلاد آنذاك .

جعل الإيوان الشرقي وما بني إلى جانبه وفوقه وقبالته من غرف صفوفا ، وحوّل الإيوان القبلي إلى مطعم ، واستقرت الهيئة الإدارية في دار الحديث

---

(١) لم أستطع معرفة بدء تأسيس المدرسة الابتدائية في الظاهرية إلا من الرواد ؛ والذاكرة يشك بمعلوماتها على بعد العهد . وقد ذكر ابن بدران في مذكراته أن المدرسة التي أسست فيها عرفت بانموذج الترقي .

التي آلت في ذلك الوقت إلى ملك صلاح الدين وأخته إفاقة ابني صالح تقي الدين (١) نقيب الأشراف في عصره وكانت الدار موقوفة على أسرتهم ولما منعا من سكنى الدار أو تأجيرها كسكن أجرى صلاح الدين المذكور استبدالاً (بيعاً) وأخذ قيمتها بعد أن سكنها وأسرته زمناً طويلاً ،وطوي الحاجزان الخشبيان اللذان كانا يشكلان ممراً خاصاً إلى البيت ـ ذكر لي ذلك السيد عبد الكريم الخطيب ـ ، وأضحى البيت جزءاً من المدرسة كما ذكرت ، وتم البيع المذكور على يد مجمع اللغة العربية .

وفي عام ١٢٩٦ هـ راحت المدارس في سورية تتكاثر باطراد ، ويعنى بتنظيمها على الأصول التربوية الحديثة عصرئذ ، بهمة الوالي مدحت باشا المصلح التركي المشهور الذي اهتم بعمران سورية ، وإصلاح أحوالها ، وافتتاح المدارس والمكاتب ونشر العلم فيها منذ وسدت ولايتها إليه .

علماء الشام والتراث الفكري :

وكان في بلدنا سلف صالح خيّر ، ممن يغار على العلم والكتاب ، ويهتم بإرشاد أمته إلى الأفضل ، راعـه إقبال بعضهم على اختلاس الكتب الخطية الموقوفة في بعض مدارس الشام وبيعها ضمن البلاد أو خارجها ، لدخلاء أو

(١) لعل البيوت والدكاكين المجاورة لدار الحديث كما هي الآن والواقعة على طريق الكلاسة ، وخلف حمام الملك الظاهر مقتطعة من دار الحديث نفسها وقد ذكر لي أحد موظفي دار الآثار القدماء أن ملكية الظاهرية تمتد حتى حمام السلطة الكائن في حي الكلاسة ، كما أن الأقواس التي ظهرت خلال هدم القسم الخلفي لدار الكتب ، والذي استملكه مؤخراً مجمع اللغة العربية لصالح الدار ، يشابه طراز بناء غرف الطلبة في مدارس ذلك العهد . ثم ان استملاك أسرة تقي الدين المذكورة لدار الحديث وسكناها فيها ، أو تأجيرها إياها ، يدل على وضع الناس أيديهم على ما ليس لهم . إذ لا يعقل البتة أن يبنى بيت للعامة ضمن مؤسسة رسمية ؛ ولنا في بقية المدارس أمثلة صالحة على ما ذكرت كالمدرسة الشامية في سويقة صاروجه .

غرباء ، دون أن يفكروا بحرمان بلادهم منها ، وبما يلحقون بها من خسارة معنوية ومادية لا تعوض .

من هذا السلف الطيب الشيخ سليم البخاري والشيخ طاهر الجزائري مفتش معارف ولاية سورية ، وصاحب اليد البيضاء على التربية والتعليم ، والموجه الأول للحركة الثقافية فيها .

فشكوا ورفاقها ضياع كتب الوقف إلى رئيس الجمعية الخيرية الشيخ علاء الدين ابن العلامة محمد عابدين ، فأنهت الجمعية بدورها إلى الوالي « مدحة باشا » أن دمشق تملك الكثير من خزائن الكتب الموقوفة على رواد العلم ، والتي فرغت من كنوزها أو كادت نتيجة الاختلاس والسرقة ، وانهم يخشون على هذا النزر اليسير المتبقي أن يضيع أيضاً . فكتب إلى السلطان كتاباً جاء فيه :

« لما كانت الكتب الموقوفة والمشروطة لاستفادة العموم قد حصرت بأيدي المتولين ، وحرم الناس من مطالعتها كان من اللازم جمعها وجعلها في مكان مخصوص ليكون الانتفاع بها عاماً » .

ويذكر ابن بدران في منادمته [١] « أن مدحة باشا استطاع الحصول على قرار بجمع الكتب في مكتبة عامة مقرها تربة الملك الظاهر ، في شباط سنة ١٢٩٥ شرقية ، لمتانتها ولياقتها لتلك الغاية ؛ وطبع دفتراً بأسماء الكتب ، وعين لها محافِظَيْن لكل واحد منها مئتا قرش في الشهر ، وبواباً بخمسين قرشاً . ولما أنهى المرحوم مدحة باشا تنظيمها وترتيب قانونها ، عزل عن ولاية سورية ؛ وجاء بعده حمدي باشا في أوائل سنة ست وتسعين ومئتين وألف ؛ فكتب

(١) منادمة الأطلال ص ١١٩ وما بعدها .

الحجر الذي على باب المكتبة باسمه (١) . فكم ساع لقاعـــد . سنة الله في خلقه » .

والحق إن « حمدي باشا » الذي استلم الولاية بعد مدحة باشا حوّل الجمعية الخيرية إلى مجلس معارف ورأس عليه مفتي دمشق العلاّمة محمود حمزة ، فاشترك مع الشيخ علاء الدين عابدين والشيخ سليم العطار ومحمد المنيني ، في إثارة موضوع الكتب الوقفية التي اهتم بها سلفه مدحة باشا ، وأفهموه ان الواجب يقضي بجمعها في خزانة مخصوصة توضع في تربة الملك الظاهر ، وتجعل لفائدة الجميع فلا يحرم أحد من الاستفادة منها والمطالعة بها متى شاء ، وتتأسس بذلك دار كتب عامة .

فصدر أمر الوالي بذلك في ١٥ شباط سنة ١٢٩٥ شرقية على أن تكون تحت اشراف العلماء وأصحاب الطلب وأن يسمّوا باسم جمعية المكتبة العمومية .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرحلة الجمع :

شمّر الشيخ « طاهر الجزائري » وصحبـــه عن ساعد الجد وانطلقوا إلى مكتبات دمشق يجمعون ما فيها ، ولقي الشيخ طاهر وصحبه ما لقوا ممن استحلوا أكل الكتب والأوقاف ، وتحملوا منهم مقاومة شديدة حتى هددوا الشيخ بالقتل إن لم يرجع عن قصده فما زادوه إلا مضاءً (٢) .

وكان ما جمع بادىء ذي بدء من عشر مكتبات هي :

---

(١) يريد بباب المكتبة باب القبة الظاهرية التي ضمت الكتب كمستودع لها وجعلت قاعة مطالعة بآن واحد .

(٢) مجلة المجمع العلمي ٨/٥٧٩ .

١ ــ **المكتبة العمرية** : وهي دار كتب عظيمة قديمة . كان مقرها مدرسة شيخ الإسلام محمد بن أحمد بن أبي عمر الجماعيلي المقدسي في صالحية دمشق وهي كما قال ابن بدران (١) : «مشهورة معمورة الجدران . . وقد كان بها خزانة كتب لا نظير لها ، فلعبت بهـا أيدي المختلسين ، إلى أن أتى بعض الطلبة النجديين فسرق منها خمسة أحمال جمل من الكتب وفرّ بها ، ثم نقل ما بقي ، وهو شيء لا يذكر بالنسبة لما كان بها ، إلى خزانة الكتب في قبة الملك الظاهر في مدرسته» .

وتمتاز أكثر المخطوطات التي نقلت إلى الظاهرية منها بأنها مصححة بأيدي علماء أجلاء مشهورين عدا أن بعضها بخط مؤلفيه . ويبلغ عدد ما جمع منها ستمئة واثنين وستين مخطوطاً . وهذه المخطوطات وقفها أناس من أهل الفضل على مرور الزمان .

٢ ــ **مكتبة عبد الله باشا العظم** : ومقرها في مدرسة عبد الله باشا (٢) ابن الوزير محمد باشا محافظ الشام وهي مجموعة كتب وقفها الأب سنة ١١٩٠ هـ وجعلها في مدرسته التي عرفت باسم الابن فيما بعد وقد بلغ عدد ما وجد فيها أربعمئة وواحداً وستين مخطوطاً .

٣ ــ **مكتبة الخياطين** : وهي مجموعة كتب قيمة وقفها الوزير أسعد باشا العظم بعد سنة ١١٦٥ هـ وجعلها في مدرسة والده الحاج اسماعيل باشا في سوق الخياطين ، قرب المدرسة النورية ، ولا تزال قائمة حتى اليوم ، وعدد كتبها التي نقلت إلى الظاهرية ثلاثمئة وخمسة وسبعون مخطوطاً .

---

(١) منادمة الأطلال ص ٢٤٤ .

(٢) المنادمة ص ٢٧٠ .

٤ — **مكتبة الملا عثمان الكردي** : وكانت موضوعة في المدرسة السليمانية الآتي ذكرها وعدد ما وجد فيها من مخطوطات ثلاثمئة واثنا عشر مخطوطاً .

٥ — **المكتبة السليمانية** : وهي مكتبة جيدة غنية وقفها سليمان باشا بن ابراهيم العظم سنة ١١٩٦ وجعلها في المدرسة السليمانية بمحلة نور الدين بالقرب من باب البريد ، وقد ذكر الواقف مافي المكتبة من كتب في كتاب وقفها .

فقد معظمها مع الزمن والقليل المتبقي الذي أودع في الظاهرية لم يتجاوز مئة وثلاثين مخطوطاً (١) .

٦ — **المكتبة المرادية** : كانت مكتبة عظيمة عامرة للمدرسة المرادية التي أنشأها الشيخ الزاهد مراد بن علي الحسيني الحنفي النقشبندي سنة ١١٠٨ هـ . وكانت لجودتها يقال لها : أزهر دمشق (٢) . وقد لصت ذخائرها أيدي الطامعين . فلم يبق منها إلا القليل ، لم يزد عن المئتين والستين مخطوطاً لما نقل إلى الظاهرية .

٧ — **المكتبة السميساطية** (٣) : وكان مقرها في الخانقاه السميساطية التي بناها أبو القاسم السميساطي [٣٧٧ — ٤٥٣ هـ] ووقفها على فقراء الصوفية ، ثم حولها القاضي نجم الدين ابن حجي إلى مدرسة سنة ٨٢٤ هـ وتقع الخانقاه المذكورة عند باب الجامع الأموي الشمالي المعروف بباب العمارة وقد بلغ عدد ماعثرت عليه الجمعية من كتب فيها واحداً وثمانين مخطوطاً .

---

(١) ابن بدران ص ٢٦٦ .

(٢) المنادمة ص ٢٦٤ .

(٣) المنادمة ص ٢٧٦ .

٨ — **مكتبة بيت الخطابة في الجامع الأموي** : وهي مجموعة كتب وقفها صاحبها « علي الدفتري » سنة ١٠١٨ هـ كما حكى المحبي في تاريخه ، في ترجمته للواقف المذكور ، وقال إنه استودعها بيت الخطابة بالقرب من المقصورة بالجامع الأموي ، وفيها نفائس ، لأن علياً الدفتري كانت له مشاركة طيبة في الفنون (١) .

وحوت مكتبة الخطابة هذه إلى جانب كتب الدفتري ، كتباً أخرى وقفت بعدئذٍ . وقد دخل الظاهرية منها جميعها ثلاثة وسبعون مخطوطاً فقط .

٩ — **مكتبة الأوقاف** : وقد أقيمت من كتب جمعت من خزائن متفرقة تشتت أمرها فوضعت في ديوان الأوقاف حفظاً لها من أيدي العابثين وعددها أربعة وستون مخطوطاً وأربعة كتب مطبوعة .

١٠ — **المكتبة السياغوشية** (٢) : وكان مقرها في مسجد يقع بحارة كانت تسمى بالقصاعين داخل باب الجابية ، بناه حسن باشا بن عبد الله المعروف بشور بزه حسن ، بأمر الوزير الأعظم سياغوش باشا وأقام فيه مكتبة لم تبق منها أيدي الحدثان إلا أحد عشر مخطوطاً .

هذه أبرز المكتبات التي بقي فيها مايمكن أن يسهم في تكوين نواة مكتبة عامة ، وهناك عدد آخر منها كمكتبة جامع يلبغا ، والأحمدية . وسواها لم تعثر فيها الجمعية إلا على الكتاب أو الكتابين ، وقد أسهم في تزويد المكتبة فيما بعد عدد كبير من العلماء والمثقفين من أبناء الشعب ، وبعض المؤسسات الرسمية ، كانت أكبر مجموعة قدمت للمكتبة ماقدمتها المعارف إذ بلغت اثنين

(١) خلاصة الأثر ٣/٢٠٠ .
(٢) المنادمة ص ٣٨١ .

وأربعين مخطوطاً ، ومئتين واثنين كتاباً مطبوعاً . ومما يجدر بالذكر أن طائفة من هؤلاء الطيبين أبوا أن يذكر اسمهم عند تسجيل الكتاب المهدى ، وكان أن سجل لهم تحت اسم أهل الكرم عشر مخطوطات وخمسمئة كتاب مطبوع وقد بلغ عدد المخطوطات التي جمعت في الجولة الأولى فقط ألفين وأربعمئة وثلاثة وخمسين كتاباً في شتى المعارف والفنون . وضعت في خزائن حول ضريحي الظاهر والسعيد وفتحت القبة أبوابها قاعة للطالعين ، وسجل الحادث نقشاً على بابها فوق نص الوقفية في لوحة تذكارية ضمت أبيات شعر بالعربية تشير إلى مؤسسها وعهد تأسيسها جاء فيها :

يا حبـــذا أثر بديع قد بدا أضحى لأصحاب المعارف موردا
فاق دمشق به البلاد جميعها فغدا لها فخر يسامي الفرقدا
قد ضم آلافاً من الكتب التي يسرى بها في المشكلات ويهتدى
في عصر مولانا المليك المرتضى عبد الحميـد الليث دام مؤيدا
ملك روت عنه أحاديث العلا وزراؤه أهل المعارف والندى
لا سيما حمديّ سورية الذي أضحى لدى كل الرعية أحمدا
حاز البهاء مع العـلاء وحبذا وصفان للشمس المنيرة أسندا
لمـــا تكامل بهجة ولطافـة أرّخته : « روض المطالع قد بدا »

سنة ١٢٩٨

وإلى جانبها كتب بالتركية وبخط فارسي جميل ما يلي :

خاقان معظم ومكرم سلطان حميد خان ثاني
كيم عصري مكار اولدى آرايسي ورعيدنك
سربلده ده نوبنو أثرلر احداث اولنورعنايتله
هرمقصدينه ولالت ايلر توفيقي جناب كبريانك

اركان رجال دولتي ده مرضينه اقتدا ايدرلر
چو مسلك حال مقتديدر ماهيت فيضى پيشولنك
ازجمله وزيربي نظيري والـي شام حمـدي پاشا
تحصيلنه صرف همت ايتدى حقا كه برامر معتنانك
بوبلده ده برينجه زماندن آثار علوم اولوت پريشان
برمرجع خاصي قالمامشدى پيجاره معارف اشلنك
جمع ايليه رك بويرده جمله آثارنفيسه علومى
برمكتبه يايدى كيم عمومه صورتده نظيرى يوقدرانك
تاتور كمالي نوع انسان كسب اليه مهر معرفتدن
برمكسب علم اولمه جهانده بمواره دروني بونبانك
تبشير ايدرم بهـا عمومه اكمالني من ومفخرتله
تاريخي : خزينهء كتب لوحاى معارف احتوانك

سنة ١٢٩٨

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وثائق التأسيس :

بعد أن جمعت الكتب كما قلنا من المكتبات المذكورة ، ووضعت في القبة الظاهرية ، أحصيت من قبل الجمعية الخيرية القائمة بالمشروع وسجلت في سجل خاص ذكرت فيه تعليمات المكتبة ، ووثائق التأسيس ، وتاريخ إنشائها في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ووالية حمدي باشا ، وقد وقع على هذا السجل أعضاء الجمعية ، ثم سلموهـا لمحافظتين مؤتمنين بعد أن أخذ منها سند كفالة رسمي اعترفا فيه باستلامها ما في الخزائن من كتب ، هذا نصه :

« نقر ونعترف نحن ـ الواضعين أسماءنا وأختامنا أدناه ـ أننا قد استلمنا كتب المكتبة العمومية المشتملة على ألفين وأربعمئة وثلاثة وخمسين كتاباً متنوعة

من العلوم والفنون العقلية والنقلية ؛ ما عدا النمرة الرابعة عشرة من الفرائض والنمرة الواحدة من العلوم الأدبية (وجد فيما بعد) وما عدا أوراق « الدشت » المبعثرة التي هي بغير نمر ، كما هي مبينة في الدفتر المشروح تفصيلاً سابقاً في هذا الدفتر وفي الدفاتر التي أخذت عنه ، وحفظت باستلامنا وبتعهدنا ومحافظتنا ، فإذا فقد منهـا أدنى شيء أو طرأ عليهـا أدنى خلل ينسب إلى تقصير منا نكون نحن المسؤولين والضامنين والقائمين بذلك بالمال والذمة وعلى الوجه المشروح في تعليمات الكتب المذكورة . وللبيان حررنا هـذا السند على أنفسنا بكمال الرضى والاختيار وكل منا قائم مقام الآخر بالمطالبة بجميع ذلك .

تحريراً في غرة شعبان سنة ١٢٩٨ هـ

المحافظ — المحافظ

التوقيع — التوقيع

وخصص راتب لكل من هذين المحافظين قدره مئتا قرش في الشهر ، كما عين لها بواب براتب شهري قدره خمسون قرشاً ، ثم قدمت الجمعية الخيرية لجمعية المكتبة سجلاً بمحتويات المكتبة متوجاً بتصديق يبين ما حدث ويحمل توقيع أعضائها . وهذا نصه : « بحسب قرار مجلس إدارة الولاية المبني على أمر حضرة والي الولاية الجليلة بتأسيس المكتبة العمومية ، قد جرى جمع المكاتب الموقوفة الكائنة في دمشق الشام ، وتعين لها محافظون مؤتمنون بموجب التعليمات المخصوصة لها ، وسلمت لهم المكتبة المذكورة المبينة في هـذا الدفتر المشتمل عددها على ألفين وأربعمئة وثلاثة وخمسين كتاباً متنوعة ، ما عدا الدشت أي الكراريس والأوراق المتفرقة المبينة في دفتر مخصص لها ، مصدق عليه من طرفنا ، وأخذ منهم سند كفالة معتبر . وقد تحرر بأسماء الكتب المذكورة . وثانيها موضوع في المحكمة الشرعية ، وثالثها موضوع في الأوقاف

وخامسها موضوع في الجمعية الخيرية ، لتكون محفوظة ومعلومة لدى الجميع لئلا يحصل لها أدنى خلل ، وهي تكون بكمال الانتظام .

في غرة شعبان سنة ١٢٩٨ هـ

رئيس الجمعية الخيرية
علاء الدين (عابدين)

محمد سعيد جندي — محمد سليم كزبري زاده — محمد أديب مفتي ألاي

السيد أحمد عارف — محمد صالح منير زاده — أحمد نائلي
عن خلفاء مكتوبي ولايت

أحمد منيني زاده — مصطفى واصف شقيلي زاده — محمد طاهر
مفتش المكاتب الابتدائية

مصطفى خلقي
معلم إنشاء المكتب الإعدادي

وأخيراً جاء دور جمعية المكتبة العمومية المنبثقة عن الجمعية الخيرية لتعطي تقريرها عن الحادث ، وقد أثبتته على السجل نفسه وهذا نصه :

« قد اطلعنا على هذا الدفتر المشتمل على مفردات المكتبة العمومية المجموعة ـ بقرار مجلس إدارة الولاية المبني على أمر حضرة والي الولاية ـ من المكتبات الموقوفة من طرف أصحاب البر والخيرات ، وقد اعتبر مجلس هؤلاء العاجزين هذا الدفتر المصدق من طرف الجمعية الخيرية والمحافظين ، كما أعلاه ، أساساً يرجع إليه ويتخذ حجة عند الاختلاف ، وتؤكد الوصية باجراء مقتضى التعليمات . من كمال المحافظة على هذه المكتبة العظيمة ، وهو الموفق .

عابدين زاده — مفتي الشام — منيني زاده
علاء الدين — محمود — السيد محمد العثماني

عطار زاده — كزبري زاده
عبده محمد سليم — أحمد مسلم

أما فهرس المكتبة العمومية المذكور والذي وردت هذه التقارير في مطلعه ، فيدل على أن عدد الكتب كان خمسة وستين وأربعمئة وألف كتاب بزيادة اثني عشر كتاباً على ما ذكر في التقارير . وقد سجلت فيه الكتب المجموعة مصنفة حسب موضوعاتها ، وأحصي عدد الكتب في كل موضوع ، ورمز لكل فن برمز خاص ، فجاءت حسب القائمة التالية المذكورة في الفهرس نفسه ، والمحفوظ حالياً مع فهارس المخطوطات بالقبة الظاهرية :

أنواع الكتب	عدد الكتب	الاصطلاح بالفهرس
القرآن الكريم	٤	—
علم القراءات	٥٨	(ق)
علم التفسير	١٥١	(ت)
علم الحديث	٤٢٢	(ح)
المجاميع	١٣٢	(مج)
فقه السادة الحنفية	١٦٣	(فح)
فقه السادة الشافعية	٤١٩	(فش)
فقه السادة الحنابلة	٨٣	(فا)
فقه السادة المالكية	١٠	(فم)
أصول الفقه	٩٣	(ف)
علم الفرائض	٢٢	(فر)
علم التوحيد	٦٧	(تو)
علم التصوف	١٦٧	(تص)
علم اللغة	٦٠	(ل)
علم النحو والصرف	١٧١	(ن)
علم المعاني والبيان والبديع	٣٣	(مع)

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أنواع الكتب	عدد الكتب	الاصطلاح بالفهرس
علم المنطق وأدب البحث	٢٤	(من)
علم السيرة النبوية	٥٧	(س)
علم التاريخ	٩٠	(تا)
الأدبيات المنثورة	١٣١	(اد)
الأدبيات المنظومة	٣٩	(ام)
علم الجغرافيا	٧	(ج)
علم الطب	٤٤	(ط)
علم الكيمياء	١	(ك)
علم الحكمة الطبيعية	٢	(حك)
علم الحساب	٨	(حس)
علم الهيئة	٢	(هي)
علم الهندسة	٣	(هن)
علم الزراعة	٢	(ز)
المجموع	٢٤٦٥	كتاباً

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

هذا ويلاحظ على الفهرس الأول ما يلي :

أولاً — ذكر تجاه كل نوع اسم الكتاب واسم المؤلف وكونه خطاً أو مطبوعاً واسم المكتبة التي كان فيها من قبل أو اسم من وقفه حديثاً ، وتكاد تكون كلها مخطوطة فليس فيها من المطبوع إلا ثلاثة وخمسون مجلداً .

ثانياً — أضيف إلى الفهرس ذيل احتوى على الأبواب نفسها وزيد فيه باب في فن تعبئة الجيش ، وقد جاءت أكثرية الكتب مطبوعة وباب التعبئة جميع كتبه بالتركية وقد ألحق الذيل بالسجل .

ثالثاً — ذكر في الملاحظات نقص الأجزاء أو نقص بعض الأوراق وكون الكتاب مكتوباً بالتركية أو الفارسية والشروح الموجودة حول المتون وكونها بخط المؤلف أو بخط غيره إلى غير ذلك .

تنظيم المكتبة :

هذا ولم تهمل الجمعية وضع تعليمات لتسيير المكتبة ، يمكن أن تعتبر نظاماً داخلياً للمكتبة آنذاك . وتنحصر هذه التعليمات التي ظل معمولاً بها قرابة نصف قرن من الزمن في إحدى عشرة مادة :

المادة الأولى : لما كانت الكتب الموقوفة والمشروطة لاستفادة العموم ، قد حصرت بأيدي المتولين ، وحرمت الناس من مطالعتها صدر الأمر الجليل من ملجأ الولاية ، وأعطي قرار من طرف مجلس الإدارة توفيقاً للتقرير المتقدم من هؤلاء العاجزين المؤرخ في ١٥ شباط سنة ١٢٩٥ على انه يجري جمع الكتب والرسائل الموقوفة الكائنة تحت أيدي المتولين ، ووضعها بخزانة مخصوصة عمرت وأنشئت في تربة الملك الظاهر في المحل المخصوص المعمر لأجل ذلك في جوار تربة السلطان صلاح الدين ، لأجل أن تصير المنفعة عمومية ولا يحرم أحد من الاستفادة والمطالعة ، (التي هي من أجلّ مقاصد الواقف بل لأجلها وقف) ؛ ويتأسس بذلك مكتبة عمومية .

المادة الثانية : ان هذه الكتب العمومية تكون تحت نظارة مفتي الحنفية صاحب الفضيلة محمود افندي ورئيس الجمعية الخيرية صاحب الفضيلة علاء الدين افندي ، وصاحب الفضيلة الشيخ سليم افندي عطار زاده ، وصاحب الفضيلة منيني زاده محمد افندي ، وذاتين من أعضاء الجمعية الخيرية ، وتسمى هذه الهيئة « جمعية المكتبة العمومية » .

المادة الثالثة : ان هذه المكتبة العمومية يجعل لها محافظان لكل واحد منها مئتا قرش في الشهر ، وبواب له خمسون قرشاً . وهؤلاء تجري بينهم الكفالة المتسلسلة بأن يكفل كل واحد الآخر بأن لا يضيع شيء من المكتبة ، وإذا ضاع شيء يجري تضمينهم لما ضاع إما عيناً واما بدلاً على الصورة الآتية في المادة المخصوصة ، وبعد كفالة بعضهم بعضاً يربطون أيضاً من الخارج بكفالة قوية ، وهؤلاء يجوز تبديلهم في كل سنتين ، ويجوز أبقاؤهم أيضاً على حسب ما تراه الجمعية .

المادة الرابعة : ان الكتب والرسائل التي تجمع وتنقل من سائر المكتبات والتي يتبرع بها أصحاب الخير يدقق كل كتاب منها وينظر من أي فن وعلم هو وإلى أي مكتبة ينسب ، أو من وقفه من أهل الخير ، ويرتب جدول منظم يجعل فيه لكل كتاب نمرة مخصوصة ويجري التصديق في ذيل ذلك الكتاب من طرف أعضاء جمعية المكتبة ، ومحافظي المكتبة ، ويحفظ في المكتبة في الرف الذي خصص للفن الذي هو فيه بترتيب نمرته ، والسجل الذي ذكر تنقل منه ثلاث نسخ ، إحداها توضع في جمعية المكتبة ، والثانية توضع في قلم الأوقاف ، والثالثة تحفظ في المحكمة الشرعية .

المادة الخامسة : ان جميع الكتب والرسائل والأوراق الموجودة في المكتبة حيث انها مسلمة لأيدي المحافظين ، ففي كل ثلاثة أشهر تجري المعاينة من طرف جمعية المكتبة ، فإذا ثبت ضياع كتاب أو رسالة بل ورقة أيضاً ، فإن كان ذلك من النسخ النادرة يقدر ثمنه من طرف الجمعية بضبطة ويضمن المحافظان ذلك مناصفة ، وإن لم يكن من النسخ النادرة بأن يمكن تداركه من الخارج فيلزمان باشترائه ، ويكون الثمن مناصفة ، وان تكرر هذا الأمر يعزل المحافظان ويبدلان بغيرهما .

المادة السادسة : إن الإعارة من المكتبة ممنوع قطعاً ، ممن أراد مطالعة كتاب أو استنساخه فينبغي أن يحضر بذاته للمكتبـه ويطالع ما أراد ويستنسخ ما شاء .

المادة السابعة : ان المكتبة مفتوحة للعموم في جميع الأيام ، من طلوع الشمس إلى المساء ، ما عدا يوم الثلاثاء فانها لا تفتح .

المادة الثامنة : يجب على المحافظين أن يفتحوا المكتبة في وقتها المعين ، فإن حصل مانع ضروري أو شرعي يجب إبلاغه لهيئة الجمعية وأخذ الاذن منهم . وبدون الإذن من الجمعية لا يسوغ مفارقة المحل من الصباح إلى المساء ؛ وأن يجعلوا الكتب في حالة انتظام تام ، وينظفوها من الغبار وان يجروا الحرمة والرعاية بحق من يريد المطالعة والمراجعة ، ويقدموا الكتب المطلوبة لهم حالاً بدون تكاسل ولا إهمال ، وإذا كانت نسخة من المكتبة فيها نقص أن يتموها من نسخة كاملة إن وجدت .

ويلزم البواب أن ينظف المحل ويكنسه ويمسحه ويجري غاية النظافة . فوظائف المحافِظَين والبواب عبارة عن أمثال ما ذكر من الخدمات ، فمن قصر أدنى تقصير في إجراء وظيفته ينبه عليه من طرف جمعية المكتبة أول مرة ، فان عاد إلى ذلك فصل وبُدّل بغيره .

المادة التاسعة : ينبغي أن تنتخب الجمعية ذاتاً أو ذاتين من الأعضاء ، لأجل أن يفتشوا على المكتبة والمحافِظَين عليها . ويعطوا خبراً عن مشهوداتهم للجمعية ، ويكون ذهابهم لأجل ذلك في كل أسبوع مراراً ، وإذا رأت الجمعية كتاباً أو رسالة في المكتبة يوافق نشرها للعموم يسوغ لهم طبعها وبيعها بالأثمان المقررة ، ويحفظ ما يتحصل من الربح في صندوق الجمعية لأجل اشتراء بعض كتب تناسب المكتبة .

المادة العاشرة : بعد أن تتكمل الكتب التي تجمع من كل طرف ، يطبع الدفتر الحاوي عليها والمبين لمفرداتها وينشر .

المادة الحادية عشرة : يجوز المناوبة بين المحافظين بالحضور إلى المكتبة من أيام الجمعة ، نعني أن يحضر أحدهما في جمعة والثاني الجمعة التي بعدها .

المكتبة بين الأوقاف والمعارف :

بعد أن تم الجمع واستلم المحافظان الكتب وتم التصديق على الاستلام من قبلها ، ومن قبل الجمعية الخيرية ، وجمعية المكتبة العمومية ، ربطت المكتبة بدائرة الأوقاف التي تولت الإشراف عليها مع مراقبة الجمعية المذكورة .

وكانت دائرة الأوقاف هي التي تعين المحافظين والآذن وتدفع لهم رواتبهم .

وبقيت المكتبة العمومية مرتبطة بها حتى قامت الحكومة العربية في ١٩ شباط سنة ١٩١٩ م . وعندئذ ألحقت بديوان المعارف ودمجت موازنتها بموازنة المعارف . وبدأ الديوان يهتم بأمر الكتب والمطالعة ويطالب بتخصيص بناء الظاهرية كله بالمكتبة .

ثم أعد منشوراً أذيع في الصحف برقم / ٥١ / وتاريخ ٢٠ آذار سنة ١٩١٩ وبتوقيع رئيس ديوان المعارف هذا نصه :

لحضرة مدير جريدة .... الغرّاء .

المرجو من همتكم العالية نشر الإعلان الآتي على صفحات جريدتكم ولكم الفضل .

« عزمت الحكومة العربية على إنشاء دار للكتب في هذه العاصمة ، تجمع فيها نفائس الكتب القديمة والحديثة من مخطوطة ومطبوعة ، في العلوم والفنون

المتنوعة ، في اللغة العربية وغيرها من اللغات المشهورة ، لكي يتسنى للأمة العربية الارتقاء العلمي والأدبي بمطالعة ما تختاره من تلك الكتب .

فمن كان عنده شيء منها وأراد بيعه فليعلم بذلك ديوان المعارف فيعطى الثمن الذي يتم عليه الاتفاق بلا تردد ولا مماطلة . ولذلك نشر هذا الإعلان .

التوقيع
رئيس ديوان المعارف

دار الكتب العربية والمجمع العلمي العربي (١) :

كان لاهتمام الحكومة العربية التي قامت سنة ١٩١٩ بشؤون الثقافة العامة واللغة أن عظمت مهمة « ديوان المعارف » فكان عليه النظر في أمور المعارف والتأليف وتأسيس دار للآثار ، والعناية بالمكاتب ، ولا سيما (بالمكتبة العمومية) التي سميت آنذاك بدار الكتب العربية ، وتصحيح الكتب العلمية والسماح بطبعها ، وإحداث المدارس ، وتفتيشها ، وتعيين المعلمين الخ ...

ولما رأت الحكومة العربية اتساع أعمال الديوان بهذا الشكل ، وازدياد حركة الترجمة والتأليف ، وإيجاد الاصطلاحات ، ورأت توفر عدد من الاختصاصيين المناسبين قامت بتقسيم « ديوان المعارف » إلى قسمين :

الأول : يختص بأعمال المعارف العامة .

والثاني : يختص بأمور اللغة والمكتبات والآثار وأصدر عقب ذلك الحاكم العسكري هذه الوثيقة التي كانت شهادة ميلاد المجمع العلمي واستقلاله :

رقم ٥٦٩٨ / ٢٣٤٧

(١) نشأة المجمع مقال للأستاذ المرحوم عبد القادر المغربي نشر في مجلة المجمع العلمي ١/٢ .

لحضرة رئيس ديوان المعارف المحترم

دفعاً للالتباس الذي يمكن وقوعه ، نسبنا أن يسمى ديوانكم بالمجمع العلمي (أقاده مي) وانا لنرجو افراز ميزانية المدارس على حدة ، وارسالها إلى مدير المعارف العام والسلام عليكم .

في ٨ / ٦ سنة ١٩١٩

التوقيع
حاكم سورية العسكري العام
علي رضا الركابي

ومنذ الثامن من حزيران سنة ١٩١٩ أضحى المجمع العلمي العربي مستقلاً عن المعارف ، ولكنه بقي مرتبطاً بالجامعة في معاملاته وأموره المالية ، واتخذ العادلية الكبرى (١) — تجاه الظاهرية — مقراً له ، وعهد برئاسته إلى المرحوم الأستاذ محمد كرد علي ، كما عهد إليه برعاية دار الكتب العربية التي ألحقت بالمجمع العلمي بناء على طلبه يوم الخميس في ١١ جمادى الثانية سنة ١٣٣٧ هـ الموافق لـ ١٣ آذار سنة ١٩١٩ م ليوسعها وينظم شؤونها بشكل تؤدي معه رسالتها على أكمل وجه .

وبقيت دار الكتب مقتصرة على القبة الظاهرية كمستودع للكتب وقاعة للمطالعة . وأضحت مرتبطة مع المجمع بالجامعة السورية في معاملاتها وأمورها المالية أيضاً .

(١) هناك المدرسة العادلية الصغرى التي بنتها زهرة خاتون بنت الملك العادل سنة ٦١٨ هـ وتقع في منتصف الطريق الموصل بين باب البريد وسوق ابن أبي عصرون (العصرونية) ولم يبق منها إلا واجهتها والمدخل .

ولما كثر عدد القراء اضطر المجمع العلمي أن يجعل قاعته الكبرى القائمة في إيوان العادلية الشمالي قاعة مطالعة . فتمزقت بذلك وحدة المكتبة نتيجة وجود المدرسة الابتدائية في بناء الظاهرية .

لذا راح المجمع يبذل جهوداً حميدة لإخلائها من المدرسة الابتدائية ولترميم بنائها وإمدادها بالكتب ؛ كما سعى إلى استقلاله وإياها عن الجامعة السورية في معاملاته وأموره المالية .

ولاقى القائمون عليه ما لاقوا من صعوبات أقامها في وجههم بعض المسؤولين في إدارتي المعارف والأوقاف . يدل على ذلك ما جاء في كتاب الأستاذ المرحوم محمد كرد علي إلى رئيس الدولة آنذاك صبحي بركات الخالدي :

« . . .

جعل المجمع نفائس المخطوطات في قبة الملك الظاهر خوفاً عليها من النار ، واضطر أن يخلي إحدى غرفه الكبرى في المدرسة العادلية لينقل إليها المطالعين في دار الكتب لأن القبة لا تصلح للمطالعة لرطوبتها وعدم إمكان ايقاد مدافئ فيها .

وهكذا أصبحت المكتبة التي جمعها المجمع موزعة ، وخزائنها مبعثرة ، ثلثاها في القبة الظاهرية ، والثلث الآخر في العادلية . ولطالما وقع السعي باستصفاء جميع المدرسة الظاهرية لتقسم ـ كما عرضت ذلك على فخامتكم منذ ثلاث سنين باللسان والقلم ـ أقساماً :

قسماً للمخطوطات ، وآخر للمطبوعات ، وقاعة لمطالعي الصحف ، وأخرى للنساخ والمؤلفين ، تصلح للجلوس في الفصول الأربعة ، وتناسب ذوق العصر الحاضر . فلم يرَ من إدارة المعارف ، ولا من الأوقاف ما كان يرجوه من المعاونة »(١) .

(١) مجلة المجمع العلمي ٥/١١ .

كما طلب رئيس المجمع من أرباب السلطة العليا يوم الخميس في ١١ شباط سنة ١٩٢٦ م انفصال المجمع وتوابعه (داري الكتب والآثار) عن الجامعة السورية وربطه في معاملاته الرسمية بوزارة المعارف مباشرة[١] . و « أن يكون مستقلاً بأموره المالية ، له شخصيته المعنوية ، وذلك حباً بتقليل العلائق الإدارية التي تعوقه عن الإسراع في أعماله اليومية الكثيرة ، وذلك على النحو الذي جرت عليه معظم مجامع العالم . » .

واستجابت السلطات لهذا النداء المتكرر ، فأصدرت قراراً يوم الاثنين في ١٥ آذار سنة ١٩٢٦ ينص على فصل المجمع وما يرتبط به عن الجامعة السورية ، على أن تعلن أوضاعه في قرار آخر .

وبقي على المجمع أن يخلي دار الكتب العربية من المدرسة الابتدائية ، وكان قد جعل همه بذلك منذ عهد بها اليه ، إذ خصص لبحث هذا الأمر جلسته الثانية المنعقدة يوم السبت في ٢ آب سنة ١٩١٩ . وفيها سن للدار نظاماً داخلياً ، وعين لها أمينين ، وكلف الشيخ سعيد الكرمي أحد أعضائه ، أمر الإشراف عليها وتفقد شؤونها . واستطاع المجمع أن يحقق هذه الأمنية بعد سبع سنوات من جهاد مستمر إذ سلمت إليه الظاهرية بعد إخلائها من الابتدائية في أواخر سنة ١٩٢٧ .

وقد جاء في تقرير المجمع العلمي عن أعماله ، خلال سني ١٩٢٥ – ١٩٢٧ م الذي رفعه رئيسه المرحوم محمد كرد علي إلى السيد أحمد نامي رئيس دولة سورية والذي صدر في كانون الثاني سنة ١٩٢٨ ، ما يلي :

(١) مجلة المجمع العلمي ٥/٣٨٤ .

« ما فتىء المجمع العلمي منذ استولى لأول تأسيسه على المدرسة العادلية الكبرى ، وجعل فيها مقره ، وخص دار الآثار بأكثر قاعاتها ، يتذرع بأخذ المدرسة الظاهرية الجوانية المناوحة له ، وهي التي وضع تحت قبتها مؤسسو دار الكتب الظاهرية في سنة ١٢٩٦ هـ خزائنهم وقماطرهم ومخطوطاتهم التي جمعوها من عشر مدارس ؛ ووسدت الولاية عليها للمجمع العلمي يوم إنشائه ليجعل من هذه المدرسة دار كتب عامة ، يجهزها بجهاز دور الكتب في العهد الحديث ، وها قد تمت له أمنيته ، وهي استصفاء المدرسة بأسرها ؛ ونقلت نموذج الظاهر إلى مكان آخر » .

تسلمها في الشهر الأخير من السنة الغابرة وأخذ يفكر في ارجاعها ما أمكن إلى هندستها الأصلية بحيث لا ينبو عنها النظر ، ولا يحاذر العبث بجمالها عشاق المصانع والعاديات » .

وجرى ترميم الدار ، وبذا عادت المدرستان (الظاهرية والعادلية) إلى سابق عهدهما مناراً للثقافة العربية والإسلامية لا ينطفىء ضوؤه . وكأن المولى تعالت إرادته ـ كما يقول المرحوم الأستاذ محمد كرد علي ـ قضى ألا يخليها من علم ينشر ، وأدب يذكر ، فاختارهما مباءة المجمع العلمي يقيم فيها سوق العلم والأدب بعد الكساد على النحو الذي كانتا عليه » .

المجمع يمد الدار بالكتب :

والخطوة التي خطاهـا المجمع بعد إلحاق الدار به واخلائهـا من المدرسة الابتدائية وترميمها كانت في تزويدها بالكتب .

فقد بذل جهوداً مشكورة ليمد هذه المكتبة العربية بالمخطوطات والمطبوعات والدوريات والحوليات ، وفي اجتذاب القراء للانتفاع بمطالعتها . وقد سلك إلى ذلك سبلاً شتى منها انه :

١ — رصد مخصصات وافية في موازنته السنوية لشراء الكتب من المكتبات الخاصة والعامة والأسواق .

٢ — استهدى أرباب العلم والمؤسسات الثقافية ودور النشر فلبى طلبه الكثير منهم في الشرق والغرب ، وتوالى ارسال المؤلفات والمخطوطات إليه ، حتى ان بعضهم أهدى إليه مكتبة كاملة . (وسنورد فيما بعد قائمة بأسماء المتبرعين للدار ببعض الكتب أو بالمكتبات) .

٣ — وعمل على استنساخ الكتب العربية النادرة من مكتبات أوربا وغيرها بالقلم أو بالتصوير الشمسي .

٤ — ارتأى إرسال معتمد من قبله ليجوب الأقطار بحثاً عما يفيد الدار من كتب يشتريها أو يستهديها ، فوقع اختياره على مديرها آنئذ السيد حسني الكسم ، فأرسله بادىء ذي بدء إلى مصر عام ١٩٢٤ م ليطلع على الطريقة الجديدة في تنظيم المكتبات (١) وليقوم بمهمة جمع الكتب هناك .

ففعل وعاد وفي جعبته ألف وستمئة مجلد في مختلف العلوم والفنون باللغة العربية ، وكلها هدية من المؤلفين والطابعين والكتبيين ولا سيما علامة العصر أحمد تيمور باشا .

وسع دائرة الاستهداء من البلاد الأجنبية فلبى الطلب عدد لا بأس به من جامعات أوربا وأمريكا ، ومجامعها وعلمائها ومستشرقيها .

---

(١) مجلة المجمع العلمي ٥/٥ .

ونظرة واحدة نلقيها على الإحصاءات التالية تبين جهود المجمع في هـذا السبيل خلال ثماني سنوات :

	مطبوع	مخطوط	المجموع
ما في المكتبة العموميـــة سنة ١٨٨٠ م	٥٣	٢٤٠٠	٢٤٥٣
ما فيها قبـل تأسيس المجمع قبل حزيران سنة ١٩١٩	١١٨١	٢٨٣٣	٤٠١٤
ما أصبح فيهـــا في نهاية سنة ١٩٢٨	٩٢٩٦	٣٨٣٠	١٣١٢٦

وقد أبقي باب الشراء واسعاً وباب التطوع مفتوحاً للجميع ، فكان أن أهديت له كتب ومكتبات عديدة تمتاز بتنوع الثقافة فيها .

(يتبع) أسماء الحمصي